الْفَصْلُ الثَّالِثُ

دَعْوَى رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقَظَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالتَّلَقِّي عَنْهُ مُبَاشَرَةً

دَعْوَى رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقظَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالتَّلَقِّي عَنْهُ مُبَاشَرَةً

«وَكُلُّ مَنْ قَالَ إِنَّهُ رَأَى نَبِيًّا بِعَيْنِ رَأْسِهِ، فَمَا رَأَى إِلَّا خَيَالًا»(١).

شيخ الإسلام ابن تيمية

من عبث الصوفية بمصادر التلقي، وعدوانهم على المرجعية الشرعية العليا، أنهم ادَّعَوْا أنه يمكن للخواصِّ أن يلقوا رسول الله ﷺ حال اليقظة، وأن يَتَلَقَّوْا عنه أحكامًا شرعيَّةً ملزمة؛ مما فتح البابَ على مصراعيه للكذِبِ الفاحش على رسول الله ﷺ، وادِّعَاءِ إقراره وموافقته على كثير من الضلالات والبدع التي تَلَطَّخَ بها القوم.

ولما كانت الفرقة التجانية ممن روَّج لهذه الفكرة، ودَافَعَ عنها، انبرى بعض الغيورين من أهل العلم والسنة لدحض افترائهم، ورد عدوانهم، ومنهم الشيخ علي بن محمد الدخيل الله في بحثه القيم: «التجانية»، الذي نلخص منه الفصل التالي بشيء من التصرف:

أ - ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنْ نُصُوصِهِمْ تُصَرِّحُ بِإِيمَانِهِمْ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقظَةً بَعْدَ مَوْتِهِ، فِي الدُّنْيَا

١- قال في «جواهر المعاني»: «قال ﷺ : أخبرني سيد الوجود يَقظَةً لا منامًا، قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان .. إلخ»(٢).

٢- وقال في «رِمَاح حزب الرحيم»: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يَقظَةً ومشافهة... إلخ(٣)».

٣- وقال في «بغية المستفيد»: «.. منهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص (١٣٨).
(٢) «جواهر المعاني» (١/١٢٩)، وانظره (١/٣٠، ٣١)، (٢/٢٢٨).
(٣) «رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم» (١/١٩٩).

الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته ﷺ وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته ﷺ(١).

٤ـ وقال في «الدرة الخريدة»: «وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة، فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة، فيراه الولي اليوم كما يراه الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ، فهي أفضل من الجنة»(٢).

ب ـ ذِكْرُ أَدِلَّتِهِمْ وَمُنَاقَشَتُهَا

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ:

يستدل التجانيون على إمكان رؤية النبي ﷺ يَقَظَةً بعد موته في الدنيا بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»(٣)، قالوا: فالحديث صريح في رؤية النبي ﷺ يَقَظَةً بعد موته في الدنيا، قال ابن أبي جمرة: «ودعوى الخصوص بغير مخصِّص منه ـ عليه السلام ـ تَعَسُّفٌ»(٤).

● **المُنَاقَشَةُ:**

أَوَّلًا: أن الحديث على هذه الرواية(٥) ليس نصًّا صريحًا في رؤية النبي ﷺ يَقَظَةً بعد موته في الدنيا كما يزعم التجانيون، بل الحديث محتمل؛ ولذا اختلف العلماء في معناه، وأَوَّلُوهُ على عدة تأويلات:

---

(١) «بغية المستفيد» ص (٧٩، ٨٠).

(٢) «الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة» (٤٧/١).

(٣) رواه البخاري (٣٨٣/١٢ ـ فتح)، واللفظ له، ومسلم (٢٦/١٥ ـ شرح النووي)، وأبو داود (٣٦٦/١٣ ـ عون).

(٤) «رماح حزب الرحيم» (٢٠٥/١).

(٥) ورد الحديث بعدة روايات إحداها قوله: «سيراني في اليقظة»، والثانية: «لكأنما رآني في اليقظة»، والثالثة: «فقد رآني في اليقظة»، قال ابن حجر: (وجل أحاديث الباب كالثالثة إلا قوله: «في اليقظة») اهـ. من «فتح الباري» (٣٨٣/١٢).

أ ـ قال ابن التين: «المراد به من آمن به في حياته ولم يره؛ لكونه حينئذ غائبًا عنه[١]، فيكون بهذا مُبَشِّرًا لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته[٢] ﷺ، والمعنى: أن اللَّه سيوفقه للهجرة إليه، والتشرف بلقائه في حياته، ويكون اللَّه ـ تَعَالَى ـ جعل رؤيته في المنام علامةً على رؤياه في اليقظة.

ب ـ وقال ابن بَطَّالٍ: معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها، وخروجها على الوجه الحق[٣].

جـ ـ وقيل: إنه على التشبيه والتمثيل، ويدل على ذلك قوله في الرواية الثانية: «لكَأَنَّمَا رَآني فِي الْيَقَظَةِ»[٤].

د ـ وقيل المعنى أنه يراه يَقَظَةً في الآخرة، وفي هذا بِشَارَةٌ لرائيه بأن يموت مسلمًا؛ لأنه لا يراه تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب إلا من تَحَقَّقَ موته على الإسلام.

هـ ـ أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهو قول ابن أبي جمرة، قال في «الفتح»: «وهذا من أبعد المحامل»[٥].

و ـ أنه يراه حقيقة في الدنيا ويخاطبه[٦].

ثَانِيًا: أن هذا الاحتمال الأخير باطل، وذلك من وجهين:

● **الْأَوَّلُ:** أنه **مستحيلٌ شرعًا**، ووجه ذلك:

١ـ أن النبي ﷺ قد مات؛ فادعاء حياته بعد موته ﷺ قبل يوم القيامة مستحيلٌ شرعًا؛ لأنه يلزم منه مخالفته لقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠].

---

(١) أي لأنه لم يكن هاجر في حياة النبي ﷺ.

(٢) «فتح الباري» (١٢/٣٨٥).

(٣) «السابق» (١٢/٣٨٥)، «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٢٩٣).

(٤)، (٥)، (٦) «السابق» (١٢/٣٨٥).

● قال الصنعاني ـ رحمه الله ـ تَعَالَى ـ:

(والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمعلوم من الضرورة الدينية، أنَّ مَنْ وَارَاهُ القبر لا يخرج منه إلا في المحشر، قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، ولم يقل: تَارَاتٍ أُخَرَ، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ٢١، ٢٢]، وقال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١]

وأما الأحاديث النبوية فإنها متواترة أن من أُدْخِلَ قبره لا يخرج منه إلا عند النفخة الثانية في الصور... وبالجملة، فالقول بخروج الميت من قبره، وبروزه بشخصه لقضاء أغراض الأحياء ـ قول مخالف للعقل والنقل[١].

ولا يَرِدُ على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وكذلك الشهداء، ولا ما ورد عن النبي ﷺ من أنه تُرَدُّ عليه روحه حتى يَرُدَّ السلام على من سَلَّمَ عليه[٢]، فإن تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة؛ ولذا يُقْتَصَرُ في شأنها على ما ورد في النصوص، ثم إنه يلزم من ذلك: أن يُطَالَبُوا بالتكاليف، وأن يخرجوا ليجاهدوا أعداء اللَّه، واللازم باطل، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

٢ـ أَنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»[٣].

فَعَلَّقَ الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعًا كثيرًا من سلف الأمة وخلفها قد رَأَوْهُ في المنام، ولم يذكر أحد منهم أنه رآه ﷺ في اليقظة، وخبرُ الصادق ﷺ لا يتخلف[٤].

---

(١) «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لَهم من الكرامات والألطاف» للصنعاني ص (٥١).

(٢) رواه أبو داود، وسكت عنه «سنن أبي داود» (٦/٢٦ ـ عون)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/٥٢٧)، وصحح ابن القيم إسناده كما في «عون المعبود» (٦/٣٠).

(٣) انظر تخريجه ص (٢٦٢).

(٤) «فتح الباري» (١٢/٣٨٥).

● **الْوَجْهُ الثَّاني: أنه مستحيلٌ عقلًا:**

قال القرطبي:«وهذا القول يُدْرَكُ فساده ببادئ العقول؛ إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها.

وأن لا يراه رائيان في آن واحدٍ في مكانين.

وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق ويخاطبوه، ويلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف، فلا يبقى في قبره منه شيء، فَيُزَارُ مجرد القبر، ويُسلَّمُ على غائب؛ لأنه جائز أن يُرَى في الليل والنهار، مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مُسْكَةٍ من العقل»[١].

واعترِض على هذا بأن النبي ﷺ يمكن أن يراه شخصان في مكانين مختلفين في وقت واحد، كما تُرَى الشمس أو القمر في أماكنَ متعددةٍ في آن واحدٍ من جماعة كثيرين.

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن النبي ﷺ بَشَرٌ كان يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ولم يكن له حجم الشمس وارتفاعها، حتى يمكن أن يراه جمع كثير في وقت واحد، ثم إن النبي ﷺ إذا كان في بيته لا يراه إلا من كان معه في البيت، دون من كان خارجه، وكذلك الشمس؛ فإنها لو رُؤِيَتْ فرضًا داخل بيتٍ في جِرْمِها، لاستحال رؤية جرمها في بيت آخر[٢].

٣ـ أنه على فرض صحة هذا الاحتمال لا يليق بعالم بله غيره أن يصرف هذا الدليل إلى هذا الاحتمال؛ لأن من القواعد الأصولية أن الدَّلِيلَ إِذَا تَطَرَّقَ إِلَيْهِ الِاحْتِمَالُ بَطَلَ بِهِ الِاسْتِدْلَالُ، فكيف إذا كان هذا الاحتمال ينقضه نفس الحديث، ويرده الشرع والعقل؟!

(١) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٢٩٣/٥).
(٢) «السابق» (٢٩٥/٥).

٤ـ ما نقلوه عن ابن أبي جمرة من قوله: «ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصِّص منه ـ عليه السلام ـ فمتعسف».

مردود بأن الحديث ليس نصًّا صريحًا في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، ولا في الآخرة، فتخصيصه بالدنيا بغير مخصص تعسف ـ أيضًا ـ لكن لما كان تأويله برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا مخالفًا للشرع والعقل؛ حمله جمهور العلماء على رؤية النبي ﷺ يقظة في الآخرة، والله أعلم.

دَلِيلُهُمُ الثَّانِي:

قال في «رماح حزب الرحيم»: «إن رؤية النبي ﷺ داخلة تحت قدرة الله ـ تَعَالَى ـ فالمنكِر لها منكِرٌ لقدرة الله على ذلك، ومن أنكر قدرة الله؛ فقد كفر، والله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي أحيا الميت ببعض البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، والذي جعل دعاء إبراهيم سببًا لإحياء الطيور: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وجعل تعجب العُزَيْرِ سببًا لموته وموت حماره، ثم لإحيائهما بعد مئة سنة، قادر على أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سببًا لرؤيته في اليقظة»(١). اهـ ملخصًا.

وقال محمد الحافظ التجاني:«وأصل الاجتماع الروحي اجتماع النبي ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهم في الدار الآخرة، وكان الكليم سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ سببًا في تخفيف الصلوات عن هذه الأمة، وهو في الدار الآخرة، وصح أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس، وقد أوصى بها بعد استشهاده»(٢).

فقد أخرج الحاكم في «المستدرك» عن ثابت عن أنس: «أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنط، ولبس كفنه، وقد انهزم أصحابه، فقال: اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء

(١) «رماح حزب الرحيم» (٢٠٥/١).

(٢) انظر الجواب عنه في «الموافقات» (٤٥٧/٢) وما بعدها.

به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتكم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة، ثم حَمَلَ فقاتل ساعة، فقتل، وكانت درعه قد سرقت، فرآه رجل فيما يرى النائم، فقال: إن درعي في قِدْرٍ تحت إكاف بمكان كذا وكذا، وأوصى بوصايا، فطُلِب الدرع، فوُجِدَ حيث قال، فأنفذوا وصيته»[(١)].

وعن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان رضي الله عنه أعتق عشرين عبدًا مملوكًا، ودعا بسراويل، فشدها عليه ـ ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ـ وقال: «إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، وأبا بكر، وعمر، فقالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة»، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فَقُتِلَ، وهو بين يديه[(٢)].

وقال محمد الحافظ: «وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة، والجميع في العالم تحت سلطانه».

● **المناقشة:**

١ـ إن هذا الرد يلزمنا لو كنا نستدل على عدم إمكان الرؤية يقظة باستبعاد القدرة على ذلك، معاذ الله! والذين ينكرون رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا هم من أعلم الناس بقدرة الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. فالله ـ تعالى ـ قادر على أن يجعل عباده كلهم مؤمنين: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] . وكما أنه قادر على أن يجعل المبتدع سنيًا ملتزمًا، ولكن هكذا شاء الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السَّجدَة: ١٣].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/٢٣٥)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع»: «ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» (٩/٣٢٢).

(٢) قال الهيثمي: (رواه عبدالله، وأبو يعلى في «الكبير» ورجالهما ثقات) اهـ. من «مجمع الزوائد» (٧/٢٣٢).

فمن اعتقد أن النبي ﷺ لا يُرى يقظة بعد موته في الدنيا، فقد بنى ذلك على أن هذه المسألة من المسائل الاعتقادية ـ لا أنه منكر لقدرة اللَّه ـ والأصل في الأمور الاعتقادية الحظر، حتى يرد دليل يرفع هذا الحظر، وليس هناك دليل شرعي معتبر يرفع هذا الحظر، بل دلَّ الشرع والعقل على خلاف ذلك.

٢ـ إن قدرة اللَّه ـ تَعَالَى ـ متعلقة بكل شيء؛ إذ هو القادر على كل شيء ـ سبحانه ـ فلا تلازمَ إذن بين قدرة اللَّه ـ تَعَالَى ـ وبين رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا؛ إذ لو قلنا بذلك، للزم من هذا القول إباحة جميع المحرمات، وتحريم جميع المباحات، وإلغاء جميع الشرائع، وإفساد العباد والبلاد؛ لأن اللَّه قادر على ذلك جميعًا، فمن الممكن أن نبيح الفاحشة؛ لأن إباحتها داخلة تحت قدرة اللَّه، ومن الممكن أن نحرم الصلاة؛ لأن تحريمها داخل تحت قدرة اللَّه، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم، واللَّه أعلم.

٣ـ إن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد أنكرها جمع غفير من العلماء والأئمة؛ كابن حجر العسقلاني، وأبي بكر بن العربي، وابن تيمية، والألوسي، وغيرهم، فهل معنى هذا أنهم يجهلون قدرة اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ١٦] .

٤ـ إن ما استدل به محمد الحافظ من إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قياسًا على رؤية النبي ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء يقظة في الدنيا لا يصح، **وبيان ذلك:**

أ ـ أن الإسراء والمعراج كانا معجزة للنبي ﷺ خاصة لا يقاس عليه غيره.

ب ـ أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا أمر من أمور الاعتقاد لا يجوز فيها القياس؛ لأنها توقيفية.

٥ـ أن كل ما ذكره من الآثار فغاية ما فيها رؤى منامية، وهذه ثابتة للنبي ﷺ ولسائر أمته في الأحاديث الصحيحة[١]، والنزاع في اليقظة لا في المنام.

٦ـ قوله: «... وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه».

(١) انظرها ص (١٩٦).

يجاب عنه من وجهين:

أ ـ أن هذا قياس لا يصح؛ لأن الرؤية في النوم قد جاءت بذكرها الأحاديث الصحيحة بخلاف رؤية اليقظة؛ فقد دل الشرع والعقل على خلافها، فلا يصح قياس ما دلَّ الدليل على منعه على ما دل الدليل على إثباته.

ب ـ أن قوله: «... والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة، والجميع في العالم تحت سلطانه» غاية ما فيه الاستدلال بعموم قدرة اللَّه ـ تَعَالَى ـ وقد سبق الجواب عنه.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ مِنْ أَدِلَّتِهِمْ:

أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كرامة يمنحها اللَّه من يشاء من عباده، فالمنكر لها منكرٌ لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والآثار المسندة؛ ففي الكتاب قصة أصحاب الكهف، وقصة الخَضِر مع موسى، وقصة آصف بن برخيا مع سليمان... وغيرها.

وفي السُّنَّة قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، وحديث جريج وكلام الطفل ببراءته... وغيرها كثير.

ومن الآثار قصة عمر رضي الله عنه مع سارية.

ومن العقل والنظر وقوعها المتكرر تكرارًا ينتهي إلى حد القطع بشهادة الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

- **المناقشة:**

١ـ إن هذا الدليل لا يرد على محل النزاع؛ إذ لا تلازم بين إنكار رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا وبين إنكار الكرامة، فقد أنكر رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته جمع من العلماء المثبتين لكرامات الأولياء؛ كابن حجر العسقلاني، والقرطبي، وابن العربي، والأهدل، وغيرهم.

٢ـ إن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا ليست من باب الكرامة، **وبيان ذلك:**

أـ أن الكرامة هبة من اللَّه ـ تَعَالَى ـ لمن يشاء من عباده الصالحين لا تُطْلَبُ ابتداء(١)، وهم يقولون بطلبها ابتداء.

ب ـ أن الكرامة لا تدرك بالتعلم، وهم يقولون بأنها تدرك بالتعلم عن طريق كثرة الذكر والرياضة(٢).

قال الشيخ صنع اللَّه الحلبي الحنفي: «أما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند اللَّه يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها، ولا تحديَ، ولا قدرة، ولا علم؛ كما في قصة مريم بنت عمران، وأسيد بن حضير، وأبي مسلم الخولاني»(٣). اهـ.

ج ـ أن الكرامة أمر خارق للعادة لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة بالكتاب والسنَّة، ورؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا معارضة لنص شرعي(٤)، كما أنها مستحيلة عقلاً(٥).

د ـ أن الكرامة غالبًا لا تحدث إلا مرة واحدة في العمر، وربما مرة واحدة على امتداد الزمان، بينما يرى التجانيون أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا تقع لآلاف البشر في الوقت الواحد، وكل ذلك يبطل القول بأنها من باب الكرامة، واللَّه أعلم.

دَلِيلُهُمُ الرَّابِعُ:

«أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد وقعت لجمع غفير من سلف هذه

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٦٠).

(٢) «بغية المستفيد» ص (٧٩-٨٠).

(٣) انظر: «تيسير العزيز الحميد» ص (١٩٨).

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وانظر ص(٢٦٣).

(٥) انظر ص (٢٦٥).

الأمة؛ منهم: الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبدالرحمن القناوي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر، وإبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وغيرهم»[(١)].

● **المناقشة:**

١- إذا ظهر في كلام الأولياء والصالحين ما يخالف الشرع والعقل فينبغي أن يحمل على أحسن المحامل ويصار إلى تأويله؛ إذ قد يُنْقَلُ عنهم الكلام وَيُفْهَمُ على غير ما أرادوا؛ لتفاوت المدارك واختلاف العقول، فمِن ذلك مثلًا ما قاله أبو العباس المرسي: «لو حُجِب عني النبي ﷺ طرفة عين، ما عددت نفسي من المسلمين». قال الشيخ الأهدل: «فهذا كلام فيه تجوُّز يقع مثله في كلام الشيوخ والصالحين، والمراد به أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان عن دوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأقوال، ولم يُرِدْ أنه لم يحجب عن الروح الشخصية؛ فذلك مستحيل»[(٢)].

أما من لم يبلغ درجة أولئك في الصلاح والتقوى فلا عبرة بما يقوله، إنما هو شيطان تمثل له، وأخبر قرينه بخبر كاذب، بل قد يتمثل الشيطان لعباد اللّه الصالحين؛ كما حدث لعبد القادر الجيلاني، فقد رأى الشيطان في النوم، فقال له: «أنا ربك قد أبحت لك المحرمات»، فقال: اخسأ يا لعين، فقيل له: بم عرفت أنه شيطان؟ قال: «بقوله: أبحت لك المحرمات. وبقوله: أنا ربك. ولم يقل: أنا اللّه»[(٣)].

وقد روى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال: «كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قصَّ عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره»[(٤)].

---

(١) «رماح حزب الرحيم» (١/١٩٩).
(٢) «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٣٠٠- ٣٠١).
(٣) «السابق» (٥/٢٩٨).
(٤) قال الحافظ: «إسناده صحيح» اهـ. من «فتح الباري» (١٢/٣٨٣- ٣٨٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:«والضُّلَّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه[١]، إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث، فيجيبهم»، ثم قال: «لكن كثيرًا من الناس يكذِّب بهذا، وكثيرًا منهم إذا صدّق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علمًا قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة. وهو، وإن ظن أنه قد استفاد شيئًا، فالذي خسره من دينه أكثر»[٢].

٢- إن ما وقع لهؤلاء الشيوخ هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو منامًا؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة، فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، **فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟**

كل هذه الأسئلة لا نجد الجواب عليها!!

٣- إن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته لم تنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير من المصطفى ﷺ.

إذ كيف يظهر ﷺ للمفضول ولا يظهر للفاضل؟ وقد حدثت حوادث كانت الحاجة فيها إلى ظهوره شديدة جدًا[٣]؛ **منها:**

١- اختلاف المهاجرين والأنصار - رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ - على الخلافة، وقد بقي النزاع بينهم مستمرًا ثلاثة أيام، حتى شغلهم ذلك عن دفن النبي ﷺ فلو ظهر لهم وأخبرهم بأن الخليفة أبو بكر رضي الله عنه لانقطع النزاع، فكيف لا يظهر في اليقظة لأفضل الناس بعده في أمر مهم؟

٢- اختلاف أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة الزهراء - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا - على الميراث، واشتداد حزنها على أبيها بعد وفاته.

---

(١) كذا، ولعلها «يظنونه».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٩١- ٣٩٢)، و«الجواب الباهر» ص (٥٤-٥٥).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٠٧)، و«الفكر الصوفي» ص (٤٧٤) وما بعدها.

٣ـ ما وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، حتى وقعت حرب الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة.

٤ـ خلاف علي رضي الله عنه مع الخوارج، وما وقع بين علي ومعاوية ـ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ـ من النزاع(١).

ففي كل هذه الحوادث لم يُرْوَ أن النبي ﷺ ظهر لأصحابه يقظة؛ ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلة وتقوى؟ واللَّه أعلم.

دَلِيلُهُمُ الْخَامِسُ:

أن رؤية النبي ﷺ يقظة قد قال بها علماء كثيرون قبل التجاني؛ كالإمام السيوطي، وابن أبي جمرة، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، وابن حجر المكي الهيتمي، والغزالي، وابن الحاج، والسبكي، والعفيف اليافعي.

قال الإمام السيوطي ـ بعد أن ذكر حديث البخاري: «مَنْ رَآني فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَاني فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»، وبعضَ النقول عن بعض العلماء ـ قال: «فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونها أحياء بأجسادهم، فإذا أراد اللَّه رفع الحجاب عمن أراد برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك، ولا داعي للتخصيص برؤية المثال»(٢).

وقال الغزالي ـ بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير خلق اللَّه ـ: «حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتهم، ويقتبسون منهم

(١) «شرح المواهب اللدنية» (٥/٢٩٥)، و«غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/٢٢٦).
(٢) «الحاوي للفتاوى» (٢/٤٣٥).

فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاقُ النطق»[(١)] . اهـ.

● **المناقشة:**

هذا الدليل مردود من وجهين:

١ـ أن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ حينما بعث نبيه ﷺ أنزل عليه القرآن، وآتاه الحكمة؛ فحد الحدود وبيَّن الشرائع والأحكام، فما دلت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفيناه، وما اختُلِفَ فيه رُدَّ إلى كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ إذ هما المرجع في هذا الباب؛ قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. ولم يمت النبي ﷺ إلا وقد أكمل اللَّه به الدين، وأتم به على عباده النعمة؛ كما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة : ٣].

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وكذلك لم يرو شيء في السنّة المطهرة، وأما الحديث السابق فقد بيّنّا آنفًا بطلان الاستدلال به على رؤيته ﷺ يقظة بعد موته، ووجه الحق فيه، واللَّه أعلم.

٢ـ أن اللَّه ـ تَعَالَى ـ قد حفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقد عصم اللَّه نبيه ﷺ فلا يبلغ عن ربه إلا الحق: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾، [النجم: ٣،٤].

وكلام العلماء يُؤْخَذُ منه ويُرَدُّ، مهما بلغت منزلتهم علمًا وتقوى وورعًا، فهم مقيدون بالكتاب والسنَّة؛ إذ هما المحك؛ فما وافقهما قُبِلَ، وما خالفهما رُدَّ، وعبارات العلماء في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) «المنقذ من الضلال» ص (٣١)، وانظر: «أبو حامد الغزالي والتصوف» للشيخ عبدالرحمن دمشقية (١٥٩ ـ ١٧٨).

وهناك كثير من العلماء الأجلاء الذين لهم باع طويل في خدمة كتاب اللَّه وسنّة رسوله ﷺ ومع ذلك لم يسلموا من الزلل، والأمثلة على ذلك كثيرة في باب العقائد وفي باب الفروع، وقد تركت ذكرها أدبًا مع علماء الشريعة.

ج ـ المذهب الراجح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا.

قد تبينَّ لك أنه ﷺ لا يُرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبيس الشيطان ـ لعنه اللَّه ـ ولا يرد عليه حديث: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي».

فإن الشيطان كما أخبر ﷺ لا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخبر كاذب؛ كما فعل ذلك مع الجيلاني [(١)].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عليه رحمة اللَّه ـ: «وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي» [(٢)]. فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقًّا، وتكون من الشيطان، فمنعه اللَّه أن يتمثل به في المنام. أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا» [(٣)]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ـ أيضًا ـ: «وأما في اليقظة فمن ظن أن أحدًا من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانًا قبل يوم القيامة فمن جهله أُتي» [(٤)].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وكل من قال: إنه رأى نبيًا بعين رأسه، فما رأى إلا خيالًا» [(٥)].

(١) انظر: «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٢٩٨).
(٢) رواه البخاري (١٢/٣٨٣ـ فتح)، ومسلم (١٥/٢٦ ـ شرح النووي).
(٣) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص (٢٩ـ ٣٠).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٣/٩٤).
(٥) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص (١٣٨).

وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي[١] في استحالة رؤيته ﷺ يقظةً بعد موته.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «وشذ بعض الصالحين؛ فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة»[٢].

والأدلة على عدم إمكان رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة كثيرة،، أشرنا إلى كثير منها في المناقشة، ونلخصها فيما يلي:

١- أن رؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف، فلا يجزم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنّة ما يدل على إثباتها، ولم يدَّعِهَا أحد - فيما نعلم - من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول، وهو ما يعرف عندهم: «بانتفاء المَدْرَك».

أما حديث: «فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»، فقد بيَّنَّا كلام العلماء على هذه الرواية، ووجه الحق فيها.

٢- أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا مستحيلة شرعًا وعقلًا، وقد سبق بيان ذلك.

٣- أنه قد حدثت حوادث خطيرة في صدر الإسلام كانت الحاجة فيها إلى ظهوره ﷺ شديدة جدًّا، ومع ذلك لم يذكر أحد أنه ﷺ رؤي يقظة، فكيف يظهر للمفضول، ولا يظهر للفاضل؟!

فمن قال: إن النبي ﷺ يُرى يقظة بعد موته في الدنيا، فقد أتى بقول يُدْرَكُ فساده بأوائل العقول، قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: «وبالجملة، فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يُدْرَكُ فساده بأوائل العقول؛ لاستلزامه خروجه من قبره، ومشيه في الأسواق، ومخاطبته للناس، ومخاطبة الناس له... إلخ»[٣].

---

(١) انظر: «زاد المسلم» (١٨٧/٣).

(٢) «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٢٩٩/٥).

(٣) «السابق».

فَصْلٌ

فِيمَا يَدَّعِي التِّجَانِيَّةُ تَلَقِّيَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ يَقَظَةً

كما يزعم التجانيون أنهم يرون النبي ﷺ يقظة، فإنهم يزعمون أنهم يستفتونه ويسألونه عن أمور دينهم ودنياهم، ويتلقون منه الأوراد، ويصحح لهم الأحاديث، فيعملون بذلك، وفيما يلي بعض النصوص الدالة على ذلك، وهذه النصوص منها ما يدل على اعتقادهم ذلك، ومنها ما يدل على تطبيقهم لهذا الاعتقاد.

فمما يدل على اعتقادهم ذلك:

ما جاء في «بغية المستفيد» «... عن الشيخ أحمد الزواوي كان يقول: طريقنا أن نكثر من الصلاة عليه ﷺ حتى نصير من جلسائه، ونصحبه يقظة مثل أصحابه، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله فيها»[١]. اهـ.

وأما ما يدل على تطبيقهم ذلك فمنه:

١- قول مؤلف «جواهر المعاني» عن الصلاة المسماة «بياقوتة الحقائق»: «هي من إملاء رسول اللَّه ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا منامًا»[٢].

٢- وقال أيضًا: «... سأل سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود، عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الآل والأحفاد؟ فأجابه ﷺ بقوله: «أنت ولدي حقًّا» كررها ثلاثًا ﷺ، وقال: نسبك إلى الحسن بن علي صحيح، وهذا السؤال من سيدنا رضي الله عنه لسيد الوجود يقظة لا منامًا، وبشره ﷺ بأمور عظام جسام ﷺ وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم[٣]».

وقال - أيضًا - فيما يرويه عن شيخه التجاني: «قال: رأيته مرة ﷺ وسألته عن

(١) «بغية المستفيد» ص (٧٩).

(٢) «جواهر المعاني» (٢/٢٢٨).

(٣) «السابق» (١/٣٠- ٣١).

الحديث الوارد في سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان، واحدة قلت فيها: «يَمْكُثُ بَعْدَ نُزُولِهِ أَرْبَعِينَ»، وقلت في الأخرى : «سَبْعًا». ما الصحيحة منها؟ قال ﷺ : «رواية السبع»[(١)] .

● المناقشة:

١ـ لو سلمنا جدلًا ـ وهو محال ـ أن النبي ﷺ يُرى يقظة، فالحق أنه لا عمل إلا بالكتاب والسنّة، والسنّة هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف، وما ادعاه التجانيون من الإخبار عن النبي ﷺ يقظة بعد موته، فليس داخلًا في تعريف السنّة، فلا يمكن أن يسمى حديثًا مرفوعًا، ولا موقوفًا، ولا مرسلًا، ولا مضطربًا، ولا شاذًا.

قال محمد الخضر الشنقيطي: «فإن كانت مرفوعة متصلة الإسناد، كما يقول صاحب المنية:

وَكُلُّ مَا يُرْوَى فَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى   مُتَرْجَمٌ لَفْظُهُ بِالأَمْرِ[(٢)]

فعلى هذا يكون ما قالوه وحيًا مرويًا عن النبي ﷺ ؛ لقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣،٤]، ويكون هو صحابيًا والناقلون عنه تابعين، أو تكون غير مرفوعة متصلة الإسناد؛ لاستحالة وجود الصحابة في القرن الثاني عشر، فتكون مروية عن النبي ﷺ مباشرة، وهذا غير معقول، اللَّهم، إلا أن يقولوا: إن شريعتهم لما كانت مخترعة غير داخلة تحت قانون شرعي وجب أن يُخترعَ لها اصطلاح غير داخل في اصطلاح المُحَدِّثين»[(٣)] .

٢ـ إنه يشترط فيما روي عن النبي ﷺ في حياته صحة السند، وعدالة الرواة، فكيف برؤى لا نشك في بطلانها؛ لمخالفتها للأدلة النقلية والعقلية.

---

(١) «السابق» (١/٥٥).

(٢) «منية المريد» ص (٧).

(٣) «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» ص (٤٤ـ ٤٥).

٣- إن اتصال النبي ﷺ بالناس قد انقطع بوفاته؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنَّة، فمن ذلك حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم.

وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيُقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ -إلى قوله: ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)[المائدة: ١١٧-١١٨] (٢).

قال الألوسي:«ومعنى الجملتين: أني ما دمت فيهم كنت مشاهدًا لأحوالهم؛ فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك، فلا أعلم حالهم، ولا يمكنني بيانها» (٣).

ففي الحديث - كما ترى - تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول ﷺ وبين الناس بعد مماته.

وقال ابن القيم:«فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول اللَّه ﷺ » (٤).

٤- وقد اختلف الأصوليون: هل يجوز للرسول ﷺ تأخير البيان إلى وقت الحاجة، أو لا يجوز له ذلك؟ أما تأخير البيان إلى ما بعد وفاته ﷺ فلم يقل به عاقل فضلًا عن عالم مُنْصِفٍ يطلب الحق، ويتحرى الحقيقة.

٥- وسئل الشيخ التجاني: «أيُكذَبُ عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فاعملوا به، وما خالف فاتركوه» (٥).

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٨٦- ٣٨٧ - فتح)، ومسلم (١٧/١٩٤- نووي).

(٢) «روح المعاني» (٧/٦٩).

(٣) عزاه إلى «مدارج السالكين» (٢/٢٦١).

(٤) «الانتصاف» (١/الحلقة الثالثة) لمحمد الحافظ التجاني.

قلت: وقد عرضنا ذلك على الكتاب والسنّة، فبان بطلانه وبعده عن الحق؛ فوجب عليهم رده أخذًا بوصية شيخهم، كيف لا، وقد بان لهم الدليل؟[١].

تَنْبِيهَاتٌ:

الأَوَّلُ: ذكر العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي ـ رحمه الله ـ اختلاف العلماء في هذه المسألة، ومال إلى خلاف قول الجمهور، إلا أنه قال:

«إذا علمت ما قررناه من إمكان رؤيته ﷺ في اليقظة كرامة لبعض خواص أكابر الأولياء...، فاعلم أن فائدة ذلك إنما تعود غالبًا على الرائي فقط، ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعي كائنًا ما كان ندبًا أو غيره من سائر الأحكام الشرعية، كما تعطيه قواعد الشرع المعلومة، وكما صرح به الأئمة؛ كالحافظ ابن حجر وغيره، فقد قال في «فتح الباري» بعد بحث طويل عند قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» ما نص المراد منه: ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك[٢]. اهـ.

وهذا كلام العلماء فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي ﷺ من أحكام في النوم، مع ثبوت رؤيته ﷺ في النوم بالأحاديث الصحيحة، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عنه ﷺ بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة شرعًا وعقلًا كما تم بيانه.

الثَّانِي: بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان.

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والمقصود أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنّة، أو رأوا وسمعوا أمورًا من الخوارق فظنوها من

(١) انتهى بتصرف من «التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة» ص (١٢٥ـ ١٤٩)، للشيخ علي بن محمد الدخيل الله ـ طبعة دار طيبة ـ الرياض.

(٢) «زاد المسلم» (١٨٧/٣).

جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين... فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم.

والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم.

والضُّلَّال من أهل القِبلة يرون من يعظمونه، إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت، وخرج منها النبي ﷺ، وعانقه هو وصاحباه...

وأعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددًا كثيرًا، وقد حدثني بما وقع له في ذلك، وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم... لكنْ كثير من الناس يكذِّب بهذا، وكثير منهم إذا صدَّق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان»(١).

الثَّالِثُ: قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ حفظه الله ـ: «... ولو فرضنا جدلًا أن الرسول ﷺ يمكن أن يعود بجسده الشريف أو روحه الطاهر ﷺ ليلقى بعض المسلمين، فإننا نجزم أن لقاءه هذا سيكون لتعزيز شريعته التي بثها في حياته لا لهدمها، فنتصور مثلًا في مثل التجاني أن يقول: «لا تكن أنت وأتباعك عبيدًا للاستعمار الفَرَنْسِيِّ ولا خدمًا للكفار، وقوموا بنصرة الدين، وجاهدوا في سبيل الله».

وأما أن يأتي النبي ﷺ ليقول للتجاني: «أقطعتُكَ الجنة وأتباعك ـ ولو كانوا مجرمين فاسقين ـ وكل من رآك دخل الجنة، ولو كان كافرًا، وَاؤْمُرْ أتباعك أن يَدْعوك من دون الله، ويشركوا بالله في كل شيء»... إلخ كلامه(٢).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣٩٠ـ ٣٩٢). بتصرف.

(٢) «الفكر الصوفي» ص (٣٦٠).

الرَّابعُ: يدعي التجانية أن النبي ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، وأن ما لم يبلغه في حياته يبلغه بعد وفاته لمن يلقاه من الخواص، قال مؤلف «جواهر المعاني»: «وسألته رضي الله عنه: هل خبر سيد الوجود بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصه: الأمر العام الذي كان يأتيه عامًّا للأمة طوي بساط ذلك بموته ﷺ وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، فإن ذلك في حياته وبعد مماته دائمًا لا ينقطع»[(١)] . اهـ.

وقال مؤلف «الجيش الكفيل»: «فإذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، كيف وعنده علم الأولين والآخرين»[(٢)] . اهـ.

وقال ـ أيضًا ـ: «وسئل: هل كان ﷺ عالمًا بفضل صلاة الفاتح لما أغلق؟ فقال: نعم، كان عالمًا به، قالوا: ولِم لَم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته، وعدم وجود من يظهره اللَّه على يديه في ذلك الوقت»[(٣)] . اهـ.

فأين هؤلاء الظالمون المتعدون حدود اللَّه من قوله ـ تعَالَى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] ... الآية؟ وأين هم من قوله ـ تعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] ؟ وأين هم من تبري عليٍّ رضي الله عنه من أن يكون ﷺ خصهم بشيء من العلم دون الناس، كما في حديث أبي جحيفة[(٤)] ؟

وإذا كان يلزم من كلام أولئك الضالين عدم انقطاع خبر السماء بوفاة رسول اللَّه ﷺ فلماذا قالت أم أيمن للشيخين ـ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ـ: «ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء»، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[(٥)] ؟

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٤٠).
(٢) «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» ص (١١٠- ١١١).
(٣) «السابق» ص (١١٠).
(٤) انظر تخريجه ص(٣٩٠).
(٥) رواه مسلم (١٦/ ٩- ١٠، شرح النووي).

وأين هؤلاء من قول أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا - لمسروق - رحمه اللَّه -: «من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب، واللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾... الآية» (١)؟

وقال الإمام أبو محمد بن حزم - رحمه اللَّه -: «... واعلموا أن رسول اللَّه ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده - عليه السلام - سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلَّهم إليه، ولو كتمهم شيئًا لما بلَّغ كما أُمِر، ومن قال هذا فهو كافر، فإياكم وكلَّ قول لم يبين سبيله، ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه - رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ -» (٢). اهـ

* * * * *

(١) رواه البخاري (٨/٢٧٥ - فتح)، ومسلم (٣/٨- ٩، شرح النووي).
(٢) «الفِصَل» (٢/١١٦).